

حصان الجو

كامل كيلاني



حصانُ الجَوِّ

تأليف
كامل كيلاني



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

رسم الغلاف: ورود الصاوي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠ ١٨٩ ٤

صدر هذا الكتاب في تاريخ غير معروف.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

حِصَانُ الْجَوِّ

(١) هَدَايَا الْمَلِكِ «سِرْحَانُ»

كَانَ الْمَلِكُ «سَاسَانُ» أَكْرَمَ الْمُلُوكِ فِي عَصْرِهِ، وَأَرْفَعَهُمْ مَنْزِلَةً، وَأَعْظَمَهُمْ سُلْطَانًا، وَأَكْثَرَهُمْ تَشْجِيعًا لِلْعُلُومِ وَالْفُنُونِ، وَأَحْرَصَهُمْ عَلَى جَمْعِ النِّفَائِسِ وَالتُّحَفِ النَّادِرَةِ. كَمَا كَانَ أَسْخَاهُمْ يَدًا فِي مُكَافَأَةِ الْمُبْدِعِينَ الْمُوهَبِينَ؛ فَلَا عَجَبَ إِذَا قَصَدَ إِلَيْهِ النَّوَابِغُ^١، وَيَمَّمَهُ^٢ الْمُخْتَرِعُونَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

الْمَلِكُ «سِرْحَانُ» — الَّذِي تَقَعَ مَمْلَكَتُهُ إِلَى جَانِبِ مَمْلَكَةِ الْمَلِكِ «سَاسَانُ» — عَرَفَ حِرْصَهُ عَلَى جَمْعِ التُّحَفِ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَزِيرَهُ «جُنْدَعَةً»، وَمَعَهُ ثَلَاثُ مِنْ غَوَالِي التُّحَفِ وَنِفَائِسِهَا، لِيَقْدِمَهَا هَدِيَّةً لَوْلَدِهِ الْأَمِيرِ «فَيْرُوزشَاهُ»، بِمُنَاسَبَةِ زَوَاجِهِ السَّعِيدِ بِنْتِ عَمِّهِ الْأَمِيرَةِ «نُورِ الْحَيَاةِ» الَّتِي تَزَوَّجَهَا حَدِيثًا.

كَانَ أَوَّلُ الْهَدَايَا الْعَظِيمَةِ طَاوُوسًا ذَهَبِيًّا، بَدِيعِ الشَّكْلِ، يُصَفِّقُ بِجَنَاحَيْهِ كُلَّمَا انْقَضَتْ سَاعَةٌ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ، ثُمَّ يُعْلِنُ الْوَقْتَ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ وَصَوْتٍ مَسْمُوعٍ بِدِقَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ! وَالْهَدِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: كَانَتْ بَوْقًا عَجِيبًا، يُجَلِّجُلُ^٣ صَوْتُهُ كُلَّمَا دَخَلَ الْمَدِينَةَ لِصٍّ أَوْ أَجْنَبِيٍّ يُرِيدُ شَرًّا، ثُمَّ يَذِيعُ اسْمَ الدَّخِيلِ، وَاسْمَ بَلَدِهِ، وَمَكَانَ اخْتِبَائِهِ. أَمَّا الْهَدِيَّةُ الثَّالِثَةُ: فَكَانَتْ

^١ النَّوَابِغُ: جَمْعُ نَابِغَةٍ، وَهِيَ الْأَذْكِيَاءُ.

^٢ يَمَّمُهُ: قَصَدَهُ.

^٣ يُجَلِّجُلُ: يَرْتَفِعُ.

بِحَقِّ أُعْجُوبَةِ الْأَعَاجِبِ؛ فَهِيَ حِصَانٌ مِنَ الْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ، بَدِيعُ الصُّنْعِ، دَقِيقُ التَّرْكِيبِ، يَطِيرُ بِرَاكِبِهِ إِلَى أْبْعَدِ مَكَانٍ يُرِيدُهُ؛ فَيَطُويُ أَبْعَدَ الْمَسَافَاتِ، فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ وَدَقَائِقَ مَعْدُودَاتٍ!

(٢) الْحِصَانُ الطَّائِرُ

وَقَدْ أَثْبَتَتِ التَّجَرُّبَةُ صَدُقَ مَا قَالَ «جُنْدُعة» عَنِ الْهَدَايَا الثَّلَاثِ؛ فَلَمْ يَنْقُضْ زَمَنٌ يَسِيرٌ حَتَّى صَفَّقَ الطَّائِرُ بِنَاحِيهِ، وَأَعْلَنَ الْوَقْتَ فِي صَوْتٍ وَاضِحٍ الْأَدَاءِ، حُلُوِ النَّهَارِ!
وَكَانَ مِنْ عَجِيبِ الْمُصَادَفَاتِ وَالْإِتِّفَاقَاتِ أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ — فِي ذَلِكَ الْحِينِ — أَحَدُ الْغُرَبَاءِ؛ فَمَا إِنْ يَجْتَرَّ بِأَبْهَامِهَا حَتَّى يَدُويَ صَوْتُ الْبُوقِ، لِيُهَيِّئَ الْأَذَانَ لِسَمَاعِ تَحْذِيرِهِ، ثُمَّ يُذِيعُ اسْمَ الْوَافِدِ، لِيَهْدِيَ إِلَيْهِ رِجَالَ الشُّرْطَةِ وَحُرَّاسَ الْأَمْنِ!
وَلَا تَسَلْ عَنْ دَهْشَةِ الْحَاضِرِينَ وَإِعْجَابِهِمْ، حِينَ رَأَوْا «جُنْدُعة» يَقْفِزُ فِي الْهَوَاءِ قَفْزَةً عَالِيَةً، ثُمَّ يَسْتَقِرُّ عَلَى ظَهْرِ الْحِصَانِ؛ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَخْلُقَ بِهِ سَرِيعًا — فِي الْجَوِّ — إِلَى أَنْ يُسَامِتَ زُرُوعَ الْجَبَلِ!° وَلَا يَزَالُ يعلُو حَتَّى يَغِيبَ عَنِ الْأَبْصَارِ!
ثُمَّ لَا تَنْقُضِي لَحَظَاتٍ قَلِيلَةً مَعْدُودَةً حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِمْ، دُونَ أَنْ يَبْدُوَ عَلَى رَاكِبِهِ جَهْدًا^٤ وَلَا عَنَاءً، وَلَا تَعَبٌ وَلَا إِعْيَاءُ!

كَانَ الْأَمِيرُ «فَيْرُوزشاه» ابْنُ الْمَلِكِ «سَاسَانَ» الْأَكْبَرُ أَكْثَرَ الْحَاضِرِينَ دَهْشَةً مِمَّا رَأَى، وَأَشَدَّهُمْ إِعْجَابًا؛ فَلَمْ يُطِقْ صَبْرًا عَلَى مَا شَاهَدَهُ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْحِصَانِ الْعَجِيبِ.
فَأَسْرَعَ إِلَى حِصَانِ الْجَوِّ، فَارْكَبَهُ، وَهَمَزَهُ بِقَدَمَيْهِ،^٥ فَلَمْ يَتَحَرَّكِ الْحِصَانُ وَلَمْ يَنْتَقِلْ مِنْ مَكَانِهِ؛ فَعَجِبَ لِذَلِكَ أَشَدَّ الْعَجَبِ! وَسَأَلَ نَفْسَهُ: مَا السِّرُّ فِي هَذَا يَا تُرَى؟
النَّتَفَتِ الْأَمِيرُ «فَيْرُوزشاه» إِلَى «جُنْدُعة»، يَسْأَلُهُ مُتَعَجِّبًا، قَالَ لَهُ رَاجِيًا أَنْ يَجِدَ لَدَيْهِ تَوْضِيحَ هَذَا الْعُمُوضِ: «مَا بَالُ حِصَانِكَ جَامِدًا لَا يَتَحَرَّكُ؟! مَا السِّرُّ وَرَاءَ ذَلِكَ؟»

^٤ يَطُوي: يَقْطَعُ.

^٥ يُسَامِتُ: يُقَابِلُ وَيُوَازِي.

^٦ الْجَهْدُ: التَّعَبُ وَالْمَشَقَّةُ.

^٧ هَمَزَهُ بِقَدَمَيْهِ: حَثَّ عَلَى السَّيْرِ.

حِصَانُ الْجَوِّ

فَلَفَتَ «جُنْدَعَةَ» انْتِبَاهَ الْأَمِيرِ، إِلَى لَوْلَبٍ صَغِيرٍ عَلَى كَتِفِ الْحِصَانِ الْيُسْرَى، وَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ يُحَرِّكَهُ.

فَلَمَّا أَدَارَهُ الْأَمِيرُ طَارَ بِهِ فِي الْجَوِّ، بِسُرْعَةٍ عَجِيبَةٍ!
وَمَا زَالَ حِصَانُ الْجَوِّ يَرْتَفِعُ، ثُمَّ أَخَذَ يَطِيرُ فِي أَجْوَاзِ الْفُضَاءِ، حَتَّى غَابَ عَنْ عُيُونِ الْحَاضِرِينَ، وَاخْتَفَى تَمَامًا!

لَا حَظَّ الْأَمِيرُ أَنَّ سُرْعَةَ الْحِصَانِ فَائِقَةٌ،^٨ وَلَا يَدْرِي هُوَ: كَيْفَ يَبْطِئُ مِنْ سُرْعَتِهِ أَوْ يَهْدِي مِنْ انْدِفَاعِهِ، أَوْ يَحْمِلُهُ عَلَى الْهُبُوطِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الْأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى؟!

كَمَا لَاحَظَ أَنَّ «جُنْدَعَةَ» لَمْ يُحِطْهُ عِلْمًا بِذَلِكَ!

هُنَا أَذْرَكَ الْأَمِيرُ «فَيْرُوزشاه» أَنَّ فِي الْأَمْرِ سِرًّا!

وَتَرَاءَى لَهُ^٩ مَكْرُ «جُنْدَعَةَ»، وَخَدَاعُ الْمَلِكِ «سَرْحَانَ»؛ فَأَيَّقَنَ أَنَّهُمَا قَدْ ائْتَمَرَا بِهِ^{١٠} وَمَكَّرَا بِهِ لِيَتَخَلَّصَا مِنْهُ؛ فَندِمَ عَلَى تَسْرُعِهِ فِي الصُّعُودِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَرَّفَ مَا هِيَ الْوَسِيلَةُ الْمَأْمُونَةُ لِلْهُبُوطِ، دُونَ أَنْ يُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِلسَّقُوطِ.

لَكِنَّهُ طَمَأَنَ نَفْسَهُ، وَأَيَّقَنَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ وَلَنْ يُسْلِمَهُ أَبَدًا لِلْهَلَاكِ وَالضِّيَاعِ؛ لِأَنَّهُ يَنْوِي الْخَيْرَ، وَيَبْغِي مَصْلَحَةَ الْآخَرِينَ.

(٣) نَجَاةُ الْأَمِيرِ

كَانَ الْأَمِيرُ «فَيْرُوزشاه» مِثَالًا نَادِرًا لِلشَّجَاعَةِ وَالْقُوَّةِ، وَرِبَاطَةِ الْجَاشِ^{١١} وَالْفُتُوَّةِ، فَلَمْ يَدَبَّ الْيَأْسُ إِلَى قَلْبِهِ أَبَدًا، وَرَاحَ يُنْعِمُ النَّظَرَ^{١٢} فِي حِصَانِ الْجَوِّ، وَيُفَكِّرُ؛ لَعَلَّهُ يَهْتَدِي إِلَى وَسِيلَةٍ تُمْكِّنُهُ مِنَ الْهُبُوطِ بِسَلَامٍ، وَالْعُودَةِ إِلَى وَطَنِهِ.

^٨ فَائِقَةٌ: غَيْرُ عَادِيَّةٍ.

^٩ تَرَاءَى لَهُ: ائْتَصَحَ لَهُ.

^{١٠} ائْتَمَرَا بِهِ: أَضْمَرَا لَهُ سِرًّا.

^{١١} رِبَاطَةُ الْجَاشِ: ثَبَاتُ الْقَلْبِ.

^{١٢} يُنْعِمُ النَّظَرَ: يُدَقِّقُهُ.

حِصَانُ الْجَوِّ

وَمَا لَيْتَ أَنْ رَأَى لَوْلَبًا ثَانِيًا عَلَى كَتِفِ الْحِصَانِ الْيُمْنَى، فَحَسِبَهُ لَوْلَبَ الْهُبُوطِ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ فَأَدَارَهُ.

وَمَا إِنَّ أَدَارَهُ حَتَّى زَادَتْ سُرْعَةُ الْحِصَانِ؛ فَانْطَلَقَ عَلَى التَّوِّ، طَائِرًا فِي الْجَوِّ، كَمَا يَنْطَلِقُ السَّهْمُ إِلَى الرَّمِيَّةِ!

فَهَلْ أَفْقَدَ الْأَمِيرَ الْخَطَرُ شَيْئًا مِنْ قُدْرَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَثَبَاتِهِ؟
كَلَّا، بَلْ زَادَهُ حَرَجُ الْمُوقِفِ وَدِقَّتُهُ ثَبَاتًا وَيَقَظَةُ، شَأْنُهُ شَأْنُ الْحَازِمِ الشُّجَاعِ، رَابِطِ الْجَاشِ، الَّذِي لَا يَضْطَرُّبُ فِي الْمَوَاقِفِ الْحَرِجَةِ، وَلَا يَفْقِدُ صَوَابَهُ فِي الْأَزْمَاتِ وَالْمُلِمَّاتِ.
وَرَاحَ يُدِيرُ لِحَاطَةً^{١٣} فِي حِصَانِ الْجَوِّ، فَاحِصًا مُدَقِّقًا؛ فَرَأَى فِي عُرْفِهِ^{١٤} لَوْلَبًا ثَالِثًا، مُتَنَاهِيًا فِي الدَّقَّةِ وَالصَّغَرِ.

فَمَا إِنَّ أَدَارَهُ حَتَّى تَنَاقَصَتْ سُرْعَةُ حِصَانِ الْجَوِّ!
وَمَا زَالَ حِصَانُ الْجَوِّ يَهْبِطُ بِالْأَمِيرِ — إِلَى الْأَرْضِ — رُوِيْدًا رُوِيْدًا،^{١٥} حَتَّى لَمَسَهَا بِحَافِرِهِ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ عَلَيْهَا مُتَرَفِّقًا،^{١٦} دُونَ أَنْ يُعْرِضَ رَاكِبَهُ لِسُوءٍ أَوْ أَدَى!

(٤) فِي قَصْرِ الرَّبِيعِ

كَانَ أَعْجَبَ مَا رَأَاهُ «فَبَرُوزْشَاهُ»، مِنْ بَدِيعِ مَزَايَاهُ، مُصَوَّرٌ يُمَثِّلُ الْكُرَّةَ الْأَرْضِيَّةَ، يَتَحَرَّكُ فِيهِ سَهْمٌ صَغِيرٌ، لِيَدُلَّ رَاكِبَهُ عَلَى الْإِتِّجَاهِ الَّذِي يَبْغِيهِ وَالْجِهَةَ الَّتِي يَقْصِدُهَا، وَيُعْرِفُهُ الْمَكَانَ الَّذِي حَلَّ فِيهِ، حَتَّى يَعْرِفَ: أَيْنَ حَلَّ؟! وَلَا يَضِلُّ طَرِيقَهُ فِي طَبَقَاتِ الْهَوَاءِ، وَأَجَوَازِ الْفَضَاءِ! وَلَا تَسْلُ عَنْ ابْتِهَاجِ الْأَمِيرِ بِهَذَا الْحِصَانِ الْعَجِيبِ، بَعْدَ أَنْ عَرَفَ مَا تَفَرَّدَ^{١٧} بِهِ مِنَ الْمَزَايَا النَّادِرَةِ، وَالْخَصَائِصِ الْبَاهِرَةِ، الَّتِي لَا تَخْفَى فَوَائِدُهَا عَلَى أَيِّ إِنْسَانٍ.

^{١٣} يُدِيرُ لِحَاطَةً: يَفْحَصُهُ مُدَقِّقًا.

^{١٤} عُرْفُ الْحِصَانِ: شَعْرُ عُنُقِهِ.

^{١٥} رُوِيْدًا: بَتَانٌ وَتَمَهْلُ.

^{١٦} مُتَرَفِّقًا: فِي رَفَقٍ وَسَهْوَةٍ.

^{١٧} تَفَرَّدَ: تَمَيَّزَ.

كَانَ أَوَّلُ مَا دَارَ بِخَاطِرِ الْأَمِيرِ «فَيْرُوزشاه» فِي هَذَا الْوَقْتِ أَنَّ يَزُورَ الْأَمِيرَةَ «نُورَ الْحَيَاةِ» بِنْتُ عَمِّهِ السُّلْطَانِ «الْعَادِلِ»، فِي قَصْرِهَا الْبَدِيعِ، الَّذِي أَلْفَتْ أَنَّ تَقْضِي فِيهِ زَمَنَ الرَّبِيعِ.

فَلَمَّا دَنَا^{١٨} مِنْهُ، لَاحَتْ لَهُ أَضْوَاؤُهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَقْلُهُ ... وَمَا إِنْ اسْتَقَرَّ الْأَمِيرُ عَلَى سَطْحِ الْقَصْرِ، حَتَّى سَمِعَ صَرَخَاتٍ مُفْزَعَةً عَالِيَةً، تَكَادُ أَنْ تُصِمَّ الْأَذَانُ! أَيْقَنَ أَنَّهَا صَادِرَةٌ مِنَ الْأَمِيرَةِ «نُورِ الْحَيَاةِ»؛ فَأَسْرَعَ إِلَى نَجْدَةِ بِنْتِ عَمِّهِ، وَإِنْقَادِهَا مِمَّا دَهَمَهَا^{١٩} مِنْ خَطَرٍ.

وَمَا إِنْ هَبَطَ دَرَكَاتِ السُّلَمِ، حَتَّى رَأَى فَارِسًا جَرِيئًا يَفْتَحُمُ حُجْرَتَهَا، بَعْدَ أَنْ صَرَخَ حُرَّاسُهَا، وَجَنَدَلَهُمْ^{٢٠} فِي بَاحَةِ^{٢١} الْقَصْرِ. فَصَرَخَ يَزْجُرُهُ^{٢٢} مُتَوَعِّدًا، وَيَحْذَرُهُ مُتَهَدِّدًا.

(٥) مَصْرَعُ الْبَاغِي^{٢٣}

قَابَلَهُ الْفَارِسُ الْجَرِيءُ بِصَرْخَةٍ أَعْلَى مِنْ صَرْخَتِهِ، وَهُوَ يُمْسِكُ سَيْفَهُ بِيَدِهِ، يُنْذِرُهُ بِالْهَلَاكِ إِذَا تَعَرَّضَ لَهُ.

وَمَا إِنْ انْتَهَيَا مِنْ وَعِيدِهِمَا، حَتَّى اسْتَوَلَتِ الدَّهْشَةُ عَلَيْهِمَا، وَكَادَتِ الْحَيْرَةُ تَعْقِدُ لِسَانَيْهِمَا مِمَّا شَاهَدَا؛ فَقَدْ رَأَى كُلُّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ رَأَى الْعَيْنِ! وَعَجِبَ الْفَارِسَانِ: كَيْفَ جَمَعَتِ الْأَقْدَارُ بَيْنَهُمَا، عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ وَلَا اتِّفَاقٍ سَابِقٍ؟!

رَأَى «فَيْرُوزشاه» مُنَافِسَهُ الْمَلِكَ «سِرْحَانَ» أَمَامَهُ، يَصْرَعُ حُرَّاسَ الْأَمِيرَةِ «نُورِ الْحَيَاةِ»، وَيُحَاوِلُ خَطْفَهَا؛ فَحَمِدَ اللَّهُ عَلَى أَنْ أَتَاكَ لَهُ الْفُرْصَةُ السَّانِحَةُ لِيُوَاجِهَ عَدُوَّهُ الَّذِي أَحْكَمَ تَدْبِيرَ

^{١٨} دَنَا: اقْتَرَبَ.

^{١٩} دَهَمَهَا: غَشِيَهَا.

^{٢٠} جَنَدَلَهُمْ: فَتَكَ بِهِمْ.

^{٢١} بَاحَةُ الْقَصْرِ: سَاحَتُهُ.

^{٢٢} يَزْجُرُهُ: يَهْدِدُهُ.

^{٢٣} الْبَاغِي: الظَّالِمُ.

مُؤَامَرَتِهِ،^{٢٤} وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَزِيرَهُ «جُنْدَعَةَ» بِتِلْكَ الْهَدَايَا الثَّمِينَةِ، لِيُغَرِّبَهُ بِرُكُوبِ الْحِصَانِ مَعَهُ؛ حَتَّى إِذَا خَلَقَا فِي الْجَوِّ، طَعَنَهُ «جُنْدَعَةُ» — مِنْ الْخَلْفِ — عَلَى حَيْنِ غَرَّةٍ^{٢٥} بِخَنْجَرٍ مَسْمُومٍ، فَقَضَى عَلَيْهِ!

وَأَذْرَكَ «فَيْرُوزِشَاهُ» — مِنَ الْحَوَارِ الَّذِي دَارَ بَيْنَهُمَا — أَنَّ الْمَلِكَ «سِرْحَانَ» كَانَ مُسْتَخْفِيًّا فِي بَلَدِ السُّلْطَانِ «الْعَادِلِ»، يَتَحَيَّنُ^{٢٦} فُرْصَةً لِاخْتِطَافِ الْأَمِيرَةِ «نُورِ الْحَيَاةِ» الَّتِي رَفَضَ أَبُوهَا السُّلْطَانُ «الْعَادِلُ» — رَفْضًا بَاتًا — أَنْ يُزَوِّجَهُ بِإِيَّاهَا، مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ بِأَنَّ ابْنَ أَخِيهِ سَبَقَهُ إِلَى خُطْبَتِهَا.

كَانَ «سِرْحَانُ» عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ «جُنْدَعَةَ»، لِيَحْضُرَ إِلَيْهِ عَلَى ظَهْرِ حِصَانِ الْجَوِّ، بَعْدَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَى «فَيْرُوزِشَاهُ» بِخَنْجَرِهِ الْمَسْمُومِ، وَبِذَلِكَ يَصْفُو لـ«سِرْحَانَ» الْجَوِّ، وَلَا يَبْقَى لَهُ — فِي زَوَاجِ الْأَمِيرَةِ — مُنَافِسٌ وَلَا عَدُوٌّ.

وَقَدْ كَادَ يَتِمُّ لِلْمَلِكِ «سِرْحَانُ» وَوَزِيرِهِ مَا أَرَادَاهُ وَسَعِيَ إِلَيْهِ، لَوْلَا لُطْفُ اللَّهِ تَعَالَى، وَشَجَاعَةُ «فَيْرُوزِشَاهُ» الَّتِي هِيَ مَضْرِبُ الْأَمْثَالِ. وَهَكَذَا انْتَهَرَتْ أَمَالُ الْمَلِكِ «سِرْحَانُ» فِي مِثْلِ سُرْعَةِ الْبَرْقِ، بَعْدَ أَنْ أَخْفَقَتْ^{٢٧} مُؤَامَرَتُهُ، وَفَسَدَتْ خُطَّتُهُ.

اشْتَدَّ حِقْدُ «سِرْحَانَ» وَالتَّهَبَ غَيْظُهُ، وَانْدَفَعَ مِنْ أَجْلِ هَذَا إِلَى مُنَافِسِهِ؛ فَقَابَلَهُ الْأَمِيرُ «فَيْرُوزِشَاهُ» بِعَزْمٍ كَالْجِبَالِ.

وَمَا زَالَا يَتَصَارَعَانِ، سَاعَةً مِنَ الزَّمَانِ. اشْتَدَّ فَرْعُ الْأَمِيرَةِ عَلَى ابْنِ عَمِّهَا مَخَافَةَ أَنْ يَفْتِكَ بِهِ ذَلِكَ الْوَحْشُ الْغَادِرُ!

ثُمَّ لَمْ تَتِمَّاكَ أَنْ انْتَبَعَثَتْ مِنْهَا صَرْخَةُ الْفَرَحِ، حِينَ رَأَتْ ابْنَ عَمِّهَا يُسَدِّدُ لِحَصْمِهِ ضَرْبَةً فَاتِكَةً،^{٢٨} أَطَارَتْ رَأْسُ «سِرْحَانَ» عَنْ جِسْمِهِ، وَأَنْقَذَتِ النَّاسُ مِنْ خِدَاعِهِ وَلُؤْمِهِ.

^{٢٤} أَحْكَمَ تَدْبِيرَ مُؤَامَرَتِهِ: أَتَقَنَّ إِعْدَادَهَا.

^{٢٥} غَرَّةٌ: غَفْلَةٌ.

^{٢٦} يَتَحَيَّنُ: يَنْتَهِزُ.

^{٢٧} أَخْفَقَتْ: فَشَلَتْ.

^{٢٨} ضَرْبَةٌ فَاتِكَةٌ: ضَرْبَةٌ قَاتِلَةٌ.

كَانَتْ الْأَخْبَارُ قَدْ تَرَامَتْ^{٢٩} إِلَى السُّلْطَانِ «الْعَادِلِ» بِاقْتِحَامِ أَحَدِ الْأَشْرَارِ قَصَرَ بِنْتِهِ، وَقَتَلَ حُرَّاسَهَا.
فَمَا إِنْ انْتَهَى الْأَمِيرُ مِنْ قَتْلِ عَدُوِّهِ، حَتَّى وَفَدَ عَلَيْهِ عُمُهُ، شَاكِرًا لَهُ مَا أَسَدَاهُ مِنْ فَضْلٍ، وَمَا أَبْدَاهُ مِنْ شَجَاعَةٍ.
وَلَمْ يَكُنْمْ إِعْجَابُهُ وَفَرَحُهُ بِحِصَانِ الْجَوِّ الَّذِي أَظْفَرَهُ بِهِ حَظُّهُ السَّعِيدُ وَشَجَاعَتُهُ الْفَائِقَةُ، وَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى!

(٦) عَوْدَةُ الْأَمِيرَيْنِ

أَقَامَ الْأَمِيرُ فِي ضِيَاةٍ عَمِّهِ أَيَّامًا، ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى أَبِيهِ لِإِعْدَادِ حَفَلَاتِ الْعُرْسِ؛ فَأَذِنَ لَهُ عُمُهُ فِي ذَلِكَ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَصْحَبَ مَعَهُ الْأَمِيرَةَ «نُورَ الْحَيَاةِ» فِي رِحْلَتِهِ، لِإِرِيحَهَا مِنْ عَنَاءِ^{٣٠} السَّفَرِ الطَّوِيلِ، بَعْدَ أَنْ وَعَدَهُ بِاللَّحَاقِ بِهِمَا، لِحُضُورِ عُرْسِهِمَا، فِي نُخْبَةٍ مِنْ حَاشِيَتِهِ، وَأَعْيَانِ مَمْلَكَتِهِ.

وَلَمَّا حَانَ مَوْعِدُ الرَّحِيلِ اصْطَفَى الْجُنْدُ لِتَحِيَّةِ الْأَمِيرَيْنِ، وَعَلَا هُتَافُهُمْ حِينَ رَأَوْهُمَا يُحَلِّقَانِ فِي الْجَوِّ، طَائِرَيْنِ فِي الْفُضَاءِ!

كَانَ الْأَمِيرُ «فَيْرُوزِشَاهُ» يَتَرَفَّقُ فِي طَيْرَانِهِ، حَتَّى لَا يُزَعِجَ الْأَمِيرَةَ، فَلَمَّا اقْتَرَبَا مِنْ حَاضِرَةِ مُلْكِهِ أَدَارَ لَوْلَبَ الْهُبُوطِ.

وَبَعْدَ قَلِيلٍ اسْتَقَرَّ بِهِمَا حِصَانُ الْجَوِّ فِي بُسْتَانِ الْقَصْرِ.

تَرَجَّلَ الْأَمِيرُ وَالْأَمِيرَةُ، ثُمَّ سَارَا مَعًا إِلَى مَقْصُورَتِهِ، وَسَطَ مَظَاهِرِ التَّرْجِيْبِ وَالْفَرَحِ، حَيْثُ أَجْلَسَهَا الْأَمِيرُ عَلَى أَرِيكَةِ مَوْشَاةٍ^{٣١} بِالْوُرُودِ وَالْأَزْهَارِ، مَحْفُوفَةٍ بِالْخَمَائِلِ وَالْأَشْجَارِ، تَارِكًا حِصَانَ الْجَوِّ أَمَامَ الْمَقْصُورَةِ الْمَلَكِيَّةِ. ثُمَّ اسْتَأْذَنَ الْأَمِيرَةَ فِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَبِيهِ، لِيُهَيِّئَ مَوْكِبًا حَافِلًا، وَيَتِيحَ لِلشَّعْبِ فُرْصَةَ اسْتِقْبَالِهَا بِمَا هِيَ أَهْلُ لَهُ مِنْ حَفَاوَةٍ وَتَكْرِيمٍ.
ابْتَهَجَ الْمَلِكُ «سَاسَانُ» بِسَلَامَةٍ وَلَدِهِ، أَيُّمَا ابْتِهَاجٍ.

^{٢٩} تَرَامَتْ: وَصَلَتْ.

^{٣٠} عَنَاءُ السَّفَرِ: تَعَبُ السَّفَرِ وَمَشَقَّتُهُ.

^{٣١} مَوْشَاةٌ: مُحَلَّةٌ وَمُزَيَّنَةٌ.

وَلَمَّا أَعَدَّ الْأَمِيرُ مُعَدَّاتِ الْإِحْتِفَالِ بِاسْتِقْبَالِ الْأَمِيرَةِ ذَهَبَ إِلَيْهَا؛ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْبُسْتَانَ
بَحَثَ عَنْهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، دُونَ أَنْ يَجِدَهَا أَوْ يَغْتَرَّ لَهَا عَلَى أَثَرٍ، فَعَجِبَ أَشَدَّ الْعَجَبِ!

(٧) أَيْنَ الْأَمِيرَةُ؟!

رَاحَ الْأَمِيرُ «فَيْرُوزشاه» يَسْأَلُ الْحُرَّاسَ، فِي لَهْفَةٍ وَدَهْشَةٍ: هَلْ وَقَعَتْ أَعْيُنُهُمْ عَلَى أَجْنَبِيٍّ
دَاخِلِ الْبُسْتَانِ، أَوْ خَارِجِ الْقَصْرِ؟

فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْبُسْتَانَ لَمْ يَدْخُلْهُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، غَيْرَ شَيْخِ هَرَمٍ، مُوَلِّعٍ بِالْبَحْثِ^{٣٢}
عَنِ النَّبَاتِ وَالْأَعْشَابِ النَّادِرَةِ.

فَلَمَّا وَصَفُوهُ لَهُ عَرَفَ أَنَّهُ «جُنْدَعَةُ» الْمَاكِزُ صَاحِبُ الْفَرَسِ، وَآيَقَنَ أَنَّهُ تَحِيلٌ^{٣٣} بِمَكْرِهِ
عَلَى الْأَمِيرَةِ، فَخَطَفَهَا بَعْدَ أَنْ نَجَحَ فِي الْهُرُوبِ مِنَ السَّجْنِ!

وَقَدْ صَحَّتْ فِرَاسَةُ الْأَمِيرِ، وَلَمْ يَكْذِبْهُ ظَنُّهُ وَتَحْمِينُهُ؛ فَإِنَّ الْمَلِكَ «سَاسَانَ» كَانَ قَدْ
أَوْدَعَ «جُنْدَعَةَ» السَّجْنَ، فَرَاحَ يَدْبُرُ خُطَّةً لِلْهَرَبِ، حَاوَلَ مِرَارًا، لَكِنَّهُ لَمْ يَتَّخِ لَهُ أَنْ يَقُومَ
بِتَنْفِيزِهَا إِلَّا سَاعَةً وَصُورَ عَدُوِّهِ «فَيْرُوزشاه».

وَمَا زَالَ «جُنْدَعَةُ» يُجِدُّ الْمَسِيرَ^{٣٤} حَتَّى بَلَغَ بُسْتَانَ الْمَلِكِ؛ فَاسْرَعَ إِلَيْهِ لِيَسْتَحْفِي فِيهِ
بَقِيَّةَ النَّهَارِ، حَتَّى إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ^{٣٥} وَاصَلَ الْهَرَبَ، مُسْتَحْفِيًا فِي الظَّلَامِ.

وَمَا إِنَّ دَخَلَ الْبُسْتَانَ، حَتَّى رَأَى حِصَانَ الْجَوِّ عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْهُ!
وَحَانَتْ مِنْهُ التِّفَافَةُ^{٣٦} قَبْلَ أَنْ يَهَمَّ بِرُكُوبِهِ، فَرَأَى الْأَمِيرَةَ فِي مَقْصُورَتِهَا؛ فَأَيَقَنَ أَنَّ
الْفُرْصَةَ قَدْ أَمَكَّنَتْهُ مِنَ الْإِنْتِقَامِ.

^{٣٢} مُوَلِّعٍ بِالْبَحْثِ: مُغْرَمٌ بِالْبَحْثِ مُعْجَبٌ بِهِ.

^{٣٣} تَحِيلٌ: اسْتَحْدَمَ الْحِيلَةَ.

^{٣٤} يُجِدُّ الْمَسِيرَ: يَسِيرُ بِهِمَّةً وَنَشَاطٍ.

^{٣٥} جَنَّ اللَّيْلُ: أَقْبَلَ بِظُلَامِهِ.

^{٣٦} حَانَتْ مِنْهُ التِّفَافَةُ: أَلْقَى نَظْرَةً خَاطِفَةً.

حِصَانُ الْجَوِّ

كَانَ «جُنْدَعَةُ» قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الْأَمِيرَةِ، مُوهِمًا إِيَّاهَا بِأَنَّ الْأَمِيرَ «فَيْرُوزشَاهُ» قَدْ أَوْفَدَهُ إِلَيْهَا، لِيَحْمِلَهَا عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ، إِلَى مِيدَانِ النَّصْرِ، حَيْثُ يَبْدَأُ مَوْكِبُ الْمُحْتَفِلِينَ بِقُدُومِهَا السَّعِيدِ، فَسَأَلَتْهُ: «وَهَلْ أَفْضَى ٣٧ إِلَيْكَ الْأَمِيرُ بِسِرِّ هَذَا الْحِصَانِ، قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَنِي عَلَيْهِ؟» فَقَالَ لَهَا: «إِنَّ الْأَمِيرَ لَا يَتَّقُ بِأَحَدٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ، كَمَا يَتَّقُ بِي، وَقَدْ خَصَّنِي بِكُلِّ مَا يَكْتُمُهُ عَنْ غَيْرِي مِنْ أَسْرَارِهِ.»

لَمْ تَشْكُ الْأَمِيرَةُ «نُورَ الْحَيَاةِ» فِي حَدِيثِهِ، بَعْدَ أَنْ رَأَتْ خَبْرَتَهُ بِقِيَادَةِ الْجَوَادِ، وَمَا إِنْ اسْتَقَرَّتْ خَلْفَ «جُنْدَعَةَ» الْمَاكِرِ الْخَبِيثِ، حَتَّى أَدَارَ لَوْلَبِ الصُّعُودِ، فَطَارَ بِهِمَا الْجَوَادُ حَتَّى غَابَتْ عَنْ أَعْيُنِهِمَا مَعَالِمُ الْمَدِينَةِ.

تَوَجَّسَتْ ٣٨ الْأَمِيرَةُ شَرًّا، ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ تَحَوَّلَ شَكُّهَا يَقِينًا، حِينَ رَأَتْ «جُنْدَعَةَ» يَبْتَغِدُ بِهَا عَنْ مَمْلَكَةِ عَمَّهَا!

سَأَلَتْهُ فِي لَهْفَةٍ وَاسْتِعْرَابٍ: أَيْنَ يَذْهَبُ بِهَا؟ وَأَيُّ مَكَانٍ يَقْصِدُهُ؟

فَأَجَابَهَا قَائِلًا: إِنَّهُ ذَاهِبُ بِهَا إِلَى مَوْلَاهُ «سِرْحَانَ».

فَصَرَخَتْ مُتَعَجِّبَةً: «لَكَ الْوَيْلُ، ٣٩ أَيُّهَا الْمَاكِرُ الْخَبِيثُ! أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ عَمِّي قَدْ أَهْلَكَهُ، قَبْلَ أَنْ تَخْطِفَنِي أَيُّهَا الشَّرِيرُ؟!»

فَقَالَ لَهَا شَامِتًا: «مَا دَامَ ابْنُ عَمِّكَ قَدْ أَهْلَكَ مَوْلَايَ؛ فَلَنْ تَكُونِي مِنْ نَصِيبِ «فَيْرُوزشَاهُ»، عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَسَتَكُونِينَ لِي زَوْجًا عَزِيزَةً؛ رَضِيتَ أَمْ أَبَيْتِ. ٤٠»

انْدَفَعَتِ الْأَمِيرَةُ تَصْرُخُ صَرَخَاتٍ مُفْزِعَةً تُصَمُّ الْأَذَانُ! ٤١ فَاضْطَرَّتْهُ إِلَى أَنْ يَهْبِطَ بِهَا، رَيْثَمَا يُعِيدُ الطُّمَأْنِينَةَ إِلَى قَلْبِهَا.

هَبِطَ «حِصَانُ الْجَوِّ» — بَعْدَ قَلِيلٍ — بِأَحَدِ الْمُرُوجِ النَّاصِرَةِ، فِي أَرْضٍ يَحْكُمُهَا السُّلْطَانُ «مَسْعُودٌ».

٣٧ أَفْضَى إِلَيْكَ: أَخْبَرَكَ سِرًّا.

٣٨ تَوَجَّسَتْ: تَرَقَّبَتْ بِحَذَرٍ.

٣٩ الْوَيْلُ: الْهَلَاكُ.

٤٠ أَبَيْتِ: رَفَضْتُ.

٤١ تُصَمُّ الْأَذَانُ: تُصِيبُهَا بِدَاءِ الصَّمَمِ وَعَدَمِ الْكَلَامِ.

بَدَلَ «جُنْدَعَةَ» جُهْدَهُ، يُحَاوِلُ أَنْ يَتَرْضَى الْأَمِيرَةَ^{٤٢}.
 فَلَمْ تُصْغِ إِلَيْهِ، وَاشْتَدَّ نَفَرُهَا مِنْهُ، وَمَقَّتْهُ لَهُ، حِينَ أَفْضَى إِلَيْهَا بِمَا غَابَ عَنْ عِلْمِهَا
 مِنْ تِلْكَ الْقِصَّةِ، وَأَطْلَعَهَا عَلَى رَغْبَتِهِ فِي الزَّوْاجِ بِهَا، بَعْدَ أَنْ هَلَكَ مَوْلَاهُ.
 فَلَمْ تَتِمَّاكَ أَنْ أَغْلَنْتَ سَخَطُهَا^{٤٣} عَلَيْهِ وَاحْتِقَارَهَا لَهُ^{٤٤}.
 وَرَاحَتْ تَنْدُبُ حَظَّهَا التَّاعَسَ، وَتَبْكِي مَصِيرَهَا الْمُؤَلَمَ!
 كَانَ مِنْ عَجَائِبِ الْإِتْفَاقِ أَنْ يَمُرَّ بِهَا السُّلْطَانُ «مَسْعُودٌ»، وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ مَمْلَكَتِهِ إِلَى
 الصَّيْدِ، وَيَسْأَلُهَا عَنِ السَّبَبِ فِي حُزْنِهَا وَبُكَائِهَا، وَيَسْأَلُهَا أَنْ تُفْضِيَ إِلَيْهِ بِقِصَّتِهَا.
 لَكِنْ «جُنْدَعَةُ» ابْتَدَرَهُ بِالْجَوَابِ، زَاعِمًا أَنَّهَا بِنْتُ عَمِّهِ.
 وَهُنَاكَ تَنْبَرِي الْأَمِيرَةُ لِتَكْذِيبِ مَا زَعَمَهُ، وَتُحَدِّثُ السُّلْطَانُ أَنَّ لَهُ لِصَّ خَادِعٌ، خَطَفَهَا فِي
 غَفْلَةٍ مِنْ حُرَاسِهَا.
 حَاوَلَ «جُنْدَعَةُ» أَنْ يَدْفَعَ التُّهْمَةَ عَنْ نَفْسِهِ، فَزَجَرَهُ السُّلْطَانُ «مَسْعُودٌ»، لَكِنَّ الشَّقِيَّ
 تَمَادَى^{٤٥} فِي ادِّعَائِهِ وَكَذِبِهِ!
 اشْتَدَّ غَضَبُ السُّلْطَانِ وَغَيْظُهُ مِنْ وَقَاحَتِهِ وَجَرَاءَتِهِ؛ فَعَاجَلَهُ بِضَرْبَةٍ مِنْ سَيْفِهِ قَاتِلَةٍ،
 أَطَارَتْ رَأْسَهُ عَنْ جَسَدِهِ.
 أَقْبَلَ السُّلْطَانُ عَلَى الْأَمِيرَةِ يُهْدِي مِنْ رَوْعِهَا^{٤٦}، وَيَتَوَدَّدُ إِلَيْهَا؛ حَتَّى اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ،
 وَأَنْبَسَتْ بِهِ. ثُمَّ عَبَّرَ لَهَا — فِي آدَبٍ وَاحْتِرَامٍ — عَنْ إِعْجَابِهِ الشَّدِيدِ بِهَا، وَرَغْبَتِهِ فِي الزَّوْاجِ
 مِنْهَا.
 كَمَا أُعْجِبَ إِعْجَابًا شَدِيدًا بِحِصَانِ الْجَوِّ، فَحَرَّصَ عَلَى اقْتِنَائِهِ، وَأَوْدَعَهُ مُتَحَفَ نَفَائِسِهِ،
 دُونَ أَنْ يَعْرِفَ لَهُ — مِنَ الْمَزَايَا — أَكْثَرَ مِنْ جَمَالِ هَيْئَتِهِ، وَدِقَّةِ صَنْعَتِهِ.

^{٤٢} يَتَرْضَى الْأَمِيرَةَ: يَحْصُلُ عَلَى رِضَاهَا.

^{٤٣} السُّخْطُ: الْغَضَبُ.

^{٤٤} الْإِحْتِقَارُ: الْإِذْرَاءُ.

^{٤٥} تَمَادَى: اسْتَمَرَّ.

^{٤٦} الرُّوعُ: الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ.

رَأَتْ الْأَمِيرَةَ «نُورَ الْحَيَاةِ» أَنَّهَا مَا إِنَّ خَلَصَتْ مِنْ كَيْدِ «جُنْدَعَةَ» الْخَبِيثِ، حَتَّى وَقَعَتْ فِي مَارِقٍ آخَرَ وَوَرُطَةٍ ثَانِيَةٍ، لَمْ تَدْرِ: كَيْفَ تَخْلُصُ مِنْهُ وَتَنْجُو؟! فَقَدْ تَفَرَّعَتْ وَارْتَبَكَتْ، حِينَ كَاشَفَهَا السُّلْطَانُ «مَسْعُودٌ» بِعَزْمِهِ الْأَكِيدِ عَلَى الزَّوْاجِ بِهَا!

أَطَالَتْ الْأَمِيرَةُ التَّفَكِيرَ لِلْخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ الْوَرُطَةِ^{٤٧}؛ لَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْ وَسِيلَةً إِلَى ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ تَتَظَاهَرَ بِالْخَبَالِ^{٤٨}.
وَقَدْ بَرَعَتِ الْأَمِيرَةُ فِي تَمَثِيلِ هَذَا الدَّورِ كُلِّ الْبَرَاعَةِ، حَتَّى خَيَّلَتْ إِلَيْهِ أَنْ بِهَا مَسًّا مِنَ الشَّيْطَانِ أَوْ شَيْئًا مِنَ الْجُنُونِ.
وَلَا تَسَلْ عَنْ حُزْنِ السُّلْطَانِ لِمُصَابِهَا، وَتَأَلَّمِهِ لِحَبَالِهَا؛ حِينَ رَأَاهَا تَرْتَمِي عَلَى الْأَرْضِ نَادِبَةً مُعَوَّلَةً، صَارِحَةً مُوَلَّوَةً!
فَلَمْ يَشْكُ فِي جُنُونِهَا، وَوَكَّلَ بِحِرَاسَتِهَا بَعْضَ جَوَارِيهِ.
ثُمَّ أَعْلَنَ السُّلْطَانُ — فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا — عَزْمَهُ عَلَى أَنْ يُقَدِّمَ مُكَافَأَةً كَبِيرَةً لِمَنْ يُوقِفُهُ اللَّهُ إِلَى شِفَاءِ الْأَمِيرَةِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْأَطِبَّاءُ — مِنْ كُلِّ مَكَانٍ — رَاجِينَ أَنْ يَفُوزُوا بِهَذِهِ الْمُكَافَأَةِ.

(٨) لِقَاءُ بَعْدَ يَأْسٍ

أَرَاكَ — أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ — تَسْأَلُنِي: مَاذَا صَنَعَ «فَيْرُوزشاه» بَعْدَ أَنْ خَطَفَ «جُنْدَعَةَ» بِنْتَ عَمِّهِ «نُورَ الْحَيَاةِ»، وَفَرَّ بِهَا إِلَى مَمْلَكَةِ السُّلْطَانِ «مَسْعُودٍ»؟
فَاعْلَمْ — عَلِمْتَ الْخَيْرَ، وَسَلِمْتَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَضَيْرٍ — أَنَّ بَطَلَ قِصَّتِنَا كَانَ — كَمَا قُلْتُ لَكَ — شُجَاعًا مُقَدِّمًا لَا يَعْرِفُ لِلْيَأْسِ مَعْنَى، وَلَا يَرَى فِي الْحُزَنِ فَائِدَةً؛ فَلَا عَجَبَ

^{٤٧} الْوَرُطَةُ: الْمَارِقُ الْحَرْجُ.

^{٤٨} الْخَبَالُ: الْجُنُونُ.

حِصَانُ الْجَوِّ

إِذَا اعْتَصَمَ^{٤٩} بِالصَّبْرِ، وَاسْتَعَانَ بِالسَّعْيِ عَلَى بُلُوغِ طَلَبَتِهِ؛ فَأَعَدَّ عِدَّتَهُ لِسَفَرِ طَوِيلٍ شاقٍّ، وَقَلْبُهُ مُمْتَلِئٌ ثَقَةً وَإِيمَانًا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ وَعَوْنِهِ.

وَمَا زَالَ يُوَاصِلُ السَّفَرَ، مُتَنَقِّلًا مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرَ، حَتَّى جَهَدَهُ السَّيْرُ، وَأَتَعَبَهُ الْحَرُّ؛ فَلَجَأَ إِلَى شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ، كَثِيفَةِ الْأَغْصَانِ؛ لِيَقِفِيَ^{٥٠} إِلَى ظِلِّهَا، وَيَسْتَرْوِحَ^{٥١} بِنَسَمَاتِهَا.

لَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَقَامُ^{٥٢} وَقَدْ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّجَارِ، يَنْشُدُونَ الرَّاحَةَ مِنْ عَنَاءِ السَّيْرِ؛ كَانُوا قَادِمِينَ — لِحُسْنِ حَظِّهِ — مِنْ بِلَادِ السُّلْطَانِ «مَسْعُودٍ»، فَحَيَّوْهُ، وَحَيَّاهُمْ فِي وَقَارٍ. عِنْدَمَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَأَخَذُوا يَتَحَدَّثُونَ فِي شُئُونِهِمُ الْخَاصَّةِ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ:

تَنَاهَى^{٥٣} إِلَى سَمْعِ الْأَمِيرِ حَدِيثٌ — بَيْنَهُمْ — يَشْغَلُهُمْ، وَيَسْتَأْثِرُ^{٥٤} بِاهْتِمَامِهِمْ. أَرْهَفَ^{٥٥} الْأَمِيرُ «فَيُورُزُ شَاه» السَّمْعَ إِلَيْهِمْ بِانْتِبَاهٍ شَدِيدٍ؛ كَانَ الْحَدِيثُ يَدُورُ بَيْنَهُمْ حَوْلَ قِصَّةِ الْفَتَاةِ، وَالشَّيْخِ الْهَرِمِ، وَالْحِصَانِ الْخَشْبِيِّ الْعَجِيبِ، وَالسُّلْطَانِ «مَسْعُودٍ»، وَمَا كَانَ بِشَأْنِهِمْ مِنْ أَحْدَاثٍ عَجِيبَةٍ مُثِيرَةٍ!

لَمْ يَكُنْ أَحَبَّ إِلَى نَفْسِ الْأَمِيرِ مِنْ مُتَابَعَةِ حَدِيثِهِمْ الَّذِي فَتَحَ لَهُ بَابَ الرَّجَاءِ عَلَى مَضْرَاعِيهِ، وَقَدْ أَتْلَجَ صَدْرُهُ مَا لَقِيَهُ «جُنْدَعَةُ» مِنْ جَزَاءٍ عَادِلٍ، وَمَا وَفَّقَتْ إِلَيْهِ بِنْتُ عَمِّهِ مِنْ حِيلَةٍ بَارِعَةٍ، لِلْخُلَاصِ مِنَ الزَّوْاجِ بِالسُّلْطَانِ «مَسْعُودٍ»!

لَمْ يُضِعِ الْأَمِيرُ شَيْئًا مِنْ وَقْتِهِ، وَاسْتَأْنَفَ سَيْرَهُ. وَمَا زَالَ يُوَاصِلُ لَيْلَهُ بِنَهَارِهِ، حَتَّى بَلَغَ مَدِينَةَ السُّلْطَانِ «مَسْعُودٍ».

^{٤٩} اعْتَصَمَ: تَمَسَّكَ.

^{٥٠} لِيَقِفِيَ: لِيَرْجِعَ.

^{٥١} يَسْتَرْوِحُ: يَجِدُ الرَّاحَةَ.

^{٥٢} الْمَقَامُ: مَكَانُ الْإِقَامَةِ.

^{٥٣} تَنَاهَى: وَصَلَ.

^{٥٤} يَسْتَأْثِرُ: يَسْتَحُوذُ.

^{٥٥} أَرْهَفَ السَّمْعَ: أَصْغَى بِانْتِبَاهٍ.

كَانَ الْأَمِيرُ «فَيْرُوزشاه» قَدْ اهْتَدَى — بَعْدَ تَفَكُّيرٍ طَوِيلٍ — لِرِسْمِ خُطَّةٍ بَارِعَةٍ لِإِنْقَاذِ بِنْتِ عَمِّهِ مِمَّا تَتَعَرَّضُ لَهُ مِنْ إِحْرَاجٍ.

فَتَوَجَّهَ إِلَى السُّلْطَانِ، مُتَظَاهِرًا بِأَنَّهُ طَبِيبٌ مُتَخَصِّصٌ فِي مُعَالَجَةِ الْمَصْرُوعِينَ،^{٥٦} وَمُداوِلَةِ الْمُخْبُولِينَ^{٥٧} ..

أَذِنَ لَهُ السُّلْطَانُ — فِي الْحَالِ — بِعِلَاجِ الْأَمِيرَةِ مِنْ عِلَّتِهَا،^{٥٨} وَاعِدًا إِيَّاهُ بِمُكَافَأَةٍ عَظِيمَةٍ، إِذَا شَفِيَتِ الْفَتَاةُ عَلَى يَدَيْهِ.

سَأَلَهُ الْأَمِيرُ أَنْ يُحَدِّثَهُ بِقِصَّتِهَا، مِنْ بَدْئِهَا إِلَى نَهَائِهَا. فَلَمَّا قَصَّهَا عَلَيْهِ سَأَلَهُ عَنْ مَكَانِ الْحِصَانِ الْخَشَبِيِّ، الَّذِي كَانَ إِلَى جَوَارِهَا، لَعَلَّ فِيهِ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ خَبَالِهَا.

بَعْدَ أَنْ أَطْمَأَنَّ «فَيْرُوزشاه» إِلَى سَلَامَةِ الْحِصَانِ، اسْتَأْذَنَ السُّلْطَانُ فِي أَنْ يُلْقَى الْفَتَاةَ عَلَى أَنْفِرَادٍ، لِيَتَبَوَّحَ لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَنْ حَالَتِهَا وَظُرُوفِ مَرَضِهَا، دُونَ أَنْ تَجِدَ حَرَجًا مِنْ ذَلِكَ؛ فَيَسْهَلَ عَلَيْهِ وَصْفُ الْعِلَاجِ لِعِلَّتِهَا فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ وَبِأَيْسَرِ حِيلَةٍ!

عِنْدَمَا دَخَلَ الْأَمِيرُ عَلَيْهَا حُجْرَتَهَا وَالتَقَتْ أَعْيُنُهُمَا هَمَّتِ الْفَتَاةُ بِالصَّرَاحِ، لِفَرْطِ مَا اسْتَوَلَى عَلَيْهَا مِنَ الْفَرَحِ، بِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ، بَعْدَ أَنْ يَبْسُتَ مِنَ اللَّقَاءِ كُلِّ الْيَأْسِ!

لَكِنَّهُ أَشَارَ إِلَيْهَا أَنْ تَعْتَصِمَ بِالصَّمْتِ، وَتَلُوِّذَ بِالصَّبْرِ. ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنْهَا، وَهَمَسَ فِي أُذُنِهَا بِمَا أَعَدَّهُ مِنْ خُطَّةٍ لِإِنْقَاذِهَا. وَبَعْدَ فِتْرَةٍ وَجِيزَةٍ حَرَجَ إِلَى السُّلْطَانِ، يُبَشِّرُهُ بِالْأَمَلِ فِي شِفَاءِ الْفَتَاةِ بِأَسْرَعِ مِمَّا يَظُنُّ؛ فَأَجَزَلَ لَهُ السُّلْطَانُ الشُّكْرَ.

ابْتَهَجَ السُّلْطَانُ «مَسْعُودٌ» كُلَّ الْإِبْتِهَاجِ بِمَا سَمِعَ، حِينَ رَأَى سُكُونَهَا بَعْدَ الْهِيَاجِ، وَابْتِسَامَهَا بَعْدَ الْعُبُوسِ.

^{٥٦} الْمَصْرُوعُ: مَنْ أَصَابَهُ الصَّرَعُ، وَهُوَ عِلَّةٌ فِي الْجِهَازِ الْعَصَبِيِّ، تَصَحُّبُهَا غَيْبُوبَةٌ وَتَشْنُجٌ فِي الْعَصَلَاتِ.

^{٥٧} الْمُخْبُولُ: مَنْ فَسَدَ عَقْلُهُ.

^{٥٨} الْعِلَّةُ: الْمَرَضُ.

أَيَقَنَ أَنَّ طَبِيبَهَا نَاجِعُ الدَّوَاءِ، وَأَنَّ مَرَضَهَا — عَلَى يَدَيْهِ — مَرْجُو الشِّفَاءِ. سَأَلَهُ السُّلْطَانُ عَمَّا يَقْتَرِحُهُ لِإِعْلَاجِهَا؟

النَّمَسَ مِنْهُ «فَيْرُوزشاه» أَنْ يَأْمُرَ بِإِخْرَاجِ الْفَتَاةِ وَالْحِصَانِ الْحَشَبِيِّ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَجَدَهُمَا فِيهِ أَوَّلَ الْأَمْرِ، وَأَنْ يَقِفَ هُوَ وَبَطَانَتُهُ وَحَاشِيَتُهُ وَجُنُودُهُ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ مِنَ الْأَمِيرَةِ؛ لِيَشْهَدُوا شِفَاءَهَا الْقَرِيبَ مِنْ مَرَضِهَا، وَيَعُودُوا بِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ فِي احْتِفَالٍ مَهِيبٍ^{٥٩} حَافِلٍ، وَالنَّمَسَ مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يَأْمُرَ بِإِحْضَارِ أَكْدَاسٍ^{٦٠} مِنَ الْحَطَبِ، وَأَعْوَادٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْبُخُورِ.

(٩) عَوْدَةُ الْمُنتَصِرِ

لَمَّا تَمَّ لِلْأَمِيرِ «فَيْرُوزشاه» مَا أَرَادَ بَدَأَ خُطَّتَهُ؛ أَجْلَسَ الْأَمِيرَةَ عَلَى ظَهْرِ حِصَانِ الْجَوِّ، ثُمَّ أَوْقَدَ^{٦١} النَّارَ فِي الْحَطَبِ، وَقَذَفَ بِكُومَاتِ الْبُخُورِ فِي اللَّهَبِ، فَتَصَاعَدَ الدُّخَانُ كَثِيفًا. انْعَقَدَتْ سَحْبُ الدُّخَانِ كَثِيفَةً مُتَصَاعِدَةً فِي الْفُضَاءِ، حَتَّى حَجَبَتْهُمَا عَنِ الْأَنْظَارِ، وَأَتَاكَتَ لُهُمَا الْفُرْصَةُ لِلْفِرَارِ.

فَقَرَّ «فَيْرُوزشاه» عَلَى ظَهْرِ «حِصَانِ الْجَوِّ»، وَمِنْ خَلْفِهِ الْأَمِيرَةُ «نُورُ الْحَيَاةِ»، وَسُرْعَانَ مَا أَدَارَ لَوَلْبَ الصُّعُودِ، دُونَ أَنْ يَفْطِنَ أَحَدٌ إِلَى حِيلَتِهِ ... انْقَشَعَ الدُّخَانُ بَعْدَ قَلِيلٍ ... لَمْ يَجِدُوا لِلْأَمِيرَيْنِ وَحِصَانَهُمَا مِنْ أَثَرٍ.

أَيَقَنَ السُّلْطَانُ «مَسْعُودٌ» — تَمَامًا — أَنَّهَا حِيلَةٌ بَارِعَةٌ، تَحِيلُهَا الطَّبِيبُ وَالْفَتَاةُ، وَيَيْئَسُ مِنْ لِقَائِهِمَا مَدَى الْحَيَاةِ!

لَمْ يَنْقُضْ زَمَنٌ قَلِيلٌ، حَتَّى بَلَغَ الْأَمِيرَانِ أَرْضَ الْوُطَنِ.

كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الْمُصَادَفَاتِ الْبَهِيجَةِ وَعَجِيبِ الْإِتِّفَاقَاتِ الْجَمِيلَةِ أَنْ بَلَغَ السُّلْطَانُ «الْعَادِلُ» — صَهْرُ الْأَمِيرِ «فَيْرُوزشاه» — بِلَادَ أَخِيهِ الْمَلِكِ «سَاسَانَ»، فِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ السَّعِيدَةِ الَّتِي قَدِمَ فِيهَا صِهْرُهُ وَبَنَتْهُ، كَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادٍ!

^{٥٩} مَهِيبٌ: كَبِيرٌ.

^{٦٠} أَكْدَاسٌ: أَعْوَادٌ كَثِيرَةٌ.

^{٦١} أَوْقَدَ النَّارَ: أَشْعَلَهَا.

لَا تَسْلُ عَنْ ابْتِهَاجٍ ٦٢ الْجَمِيعِ، بِمَا انْتَهَتْ إِلَيْهِ قِصَّتُهُمُ الْفَرِيدَةُ، مِنْ خَاتِمَةِ سَعِيدَةٍ، وَنَهَايَةِ مُوَفَّقَةٍ حَمِيدَةٍ؛ فَلَيْسَ أَبْهَجَ لِلنَّفْسِ، مِنْ أَنْ يَتَحَقَّقَ رَجَاؤُهَا بَعْدَ يَأْسٍ!

(١٠) هَدَايَا الْأَعْدَاءِ

كَانَتْ الْهَدَايَا الثَّلَاثُ الَّتِي أَعَدَّهَا «سِرْحَانُ» لِيَسْتَدْرِجَ بِهَا «فَيْرُوزِشَاهُ» إِلَى الْهَلَاكِ، سَبَبًا فِي اسْتِثْبَابِ الْأَمْنِ، وَمَجْلِبَةً لِلْخَيْرِ وَرَاحَةِ الْبَالِ! فَكَانَ «فَيْرُوزِشَاهُ» يَمْتَطِي «حِصَانَ الْجَوِّ»، طَائِرًا بَيْنَ أَنْحَاءِ بِلَادِهِ، مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا، لِيَتَفَقَّدَ شُئُونَ مُوَاطِنِيهِ، وَيُنَبِّتَ دَعَائِمَ الْأَمْنِ فِي أَرْجَاءِ مَمْلَكَةِ أَبِيهِ!

وَرُبَّمَا صَحَبَ زَوْجَتَهُ الْأَمِيرَةَ «نُورَ الْحَيَاةِ» — بَيْنَ حِينٍ وَحِينٍ، كُلَّمَا سَنَحَتِ الْفُرْصَةُ — إِلَى مَمْلَكَةِ أَبِيهَا؛ فَأَقَامَا عِنْدَهُ لَيْلَةً، ثُمَّ عَادَا فِي صَبَاحِهِمَا، بَعْدَ مَدَّةٍ وَجِيزَةٍ مِنْ قِيَامِهِمَا! أَمَّا الطَّائِفُ فَقَدْ عَرَفَ كَيْفَ يُنْظَمُ لَهُمَا الْوَقْتُ، وَيَعْرِفُهُمَا سَاعَاتِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ! وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ عَهْدٌ — قَبْلَهُ — بِمِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي لَا تُخْطِئُ فِي التَّعْرِيفِ بِالْوَقْتِ، عَلَى وَجْهِ الدَّقَّةِ النَّامَةِ وَالتَّعْيِينِ الدَّقِيقِ الَّذِي لَا يُخْطِئُ أَبَدًا، لَا عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيبِ وَالتَّخْمِينِ! ٦٣

أَمَّا الْبُوقُ، فَكَانَ خَيْرَ حَارِسٍ لِلْمَدِينَةِ مِنْ كَيْدِ الْمُغِيرِينَ، وَدَسَائِسِ الْمُتَلَصِّصِينَ! فَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ مِنَ جَوَاسِيْسِ الْأَعْدَاءِ عَلَى دُخُولِ الْمَدِينَةِ، بَعْدَ أَنْ فَضَحَ هَذَا الْبُوقُ الْعَجِيبُ مَا أَخْفَاهُ «خَيْدَعَةُ» اللَّئِيمِ وَرِفَاقُهُ مِنْ سِرٍّ، وَأَذَاعَ — ٦٤ — لِلْمَلَأِ — مَا أَضْمَرُوهُ مِنْ عَدْرِ وَخِيَانَةٍ، وَانْتَوَوْا مِنْ سِرٍّ.

أَرَاكَ تَسْأَلُنِي — أَيُّهَا الْفَارِيُّ الْعَزِيزُ — مُتَلَهِّفًا مُتَشَوِّقًا، وَقَدْ اشْتَدَّ بِكَ الشَّوْقُ: مَنْ «خَيْدَعَةُ»؟ وَمَا حِكَايَتُهُ؟
وَأَيُّ سِرٍّ أَخْفَاهُ؟ وَأَيُّ عَدْرِ أَضْمَرَهُ وَانْتَوَاهُ؟

٦٢ الْإِبْتِهَاجُ: شِدَّةُ الْفَرَحِ.

٦٣ التَّخْمِينُ: الْقَوْلُ عَلَى سَبِيلِ الْوَهْمِ أَوْ الظَّنِّ.

٦٤ أَذَاعَ: نَشَرَ.

حِصَانُ الْجَوِّ

الْحَقُّ مَعَكَ يَا بُنَيَّ؛ فَقَدْ كَانَ لِقْدُومِهِ سَبَبٌ عَجِيبٌ، وَسِرٌّ غَرِيبٌ أَذَاعَهُ الْبُوقُ عَلَانِيَةً،
فِي فَجْرِ أَحَدِ الْأَيَّامِ. وَقَدْ صَحَا النَّاسُ عَلَى صَوْتِهِ، وَهُوَ يُجَلِّلُ^{٦٥} مَدُونِيًّا، وَيُنْشِدُ عَالِيًّا:

(عَصَابَةٌ مُجْتَمِعَةٌ لِحُطَّةٍ مُرَوَّعَةٍ
مَرْهُوِيَّةٍ مُفَزَّعَةٍ.)

وَبَعْدَ أَنْ رَدَّدَ التَّحْذِيرَ، وَكَرَّرَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، انْطَلَقَ فِي إِنْشَادِهِ عَلَى مَسَامِعِ النَّاسِ
مُسْتَأْنِفًا:

(هَذَا الشَّقِيُّ «حَيْدَعَةَ» أَخُو الشَّقِيِّ «جُنْدَعَةَ»
قَدْ جَاءَكُمْ بِأَرْبَعَةٍ مِنَ الدُّهَاهِ الْبَرَعَةِ
أَطْمَعَهُمْ مَا أَطْمَعَهُ!)

أَرْهَفَ النَّاسُ آذَانَهُمْ لِسَمَاعِ إِنْشَادِهِ، وَتَلَقَّى مَا يَقُولُ وَاسْتَبَشَّرُوا خَيْرًا، وَفَرِحُوا حِينَ
انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ:

(الْيَوْمَ يَلْقَى مَصْرَعَهُ «حَيْدَعَةَ» وَمَنْ مَعَهُ)

وَلَا تَسْلُ عَنْ دَهْشَةِ السَّامِعِينَ حِينَ رَأَوْهُ يُتْبِعُ إِنْشَادَهُ، مُفَصَّلًا مَا أَجْمَلَهُ؛ فَيَقُولُ:
(انْتَبِهُوا يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَقَدْ جَاءَكُمْ «حَيْدَعَةُ» الْمَاكِرُ شَقِيقُ «جُنْدَعَةَ» الْغَادِرِ، بَعْدَ أَنْ
هَرَبَ مِنْ بَطْشِ^{٦٦} الْمَلِكِ «آزَادَ»، شَقِيقِ الْمَلِكِ «سِرْحَانَ»، الَّذِي لَقِيَ مَصْرَعَهُ — هُوَ الْآخَرُ
— عَلَى يَدِ «فَيْرُوزشَاهُ».

وَهَا هُوَ ذَا «حَيْدَعَةَ» الْخَائِنِ، مُحْتَبِيًّا مَعَ أَرْبَعَةٍ مِنْ رِفَاقِهِ الْخُبَثَاءِ، فِي كَهْفٍ «سَابُورَ»
الْقَرِيبِ ... حَتَّى إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ تَسَلَّلَ الْغَادِرُونَ إِلَى مُتَحَفِ النَّفَائِسِ، وَاسْتَوَلَوْا عَلَى «حِصَانِ
الْجَوِّ»؛ فَطَارُوا بِهِ إِلَى قَصْرِ الْأَمِيرِ «فَيْرُوزشَاهُ»، لِيُغْتَالُوهُ. ثُمَّ يَعُودُوا — عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ

^{٦٥} يُجَلِّلُ: يَرْتَفِعُ صَوْتُهُ.

^{٦٦} الْبَطْشُ: الْإِنْتِقَامُ.

— إِلَى قَصْرِ مَلِكِهِمْ «آزَاد»، لِيُفَاجِئُوهُ — وَهُوَ نَائِمٌ — فِي غَفْلَةٍ مِنْ حُرَّاسِهِ وَأَعْوَانِهِ! خَيَّبَ اللَّهُ مَسْعَاهُمْ، وَرَدَّ سِهَامَهُمْ إِلَى صُدُورِهِمْ وَحَطَّمَ آمَالَهُمْ!
الْبِدَارَ، الْبِدَارَ...^{٦٧} الْبِدَارَ، الْبِدَارَ).

هَكَذَا أَذَاعَ الْبُوقُ كُلَّ مَا أَضْمَرَهُ «خَيْدَعَةُ» وَأَعْوَانُهُ مِنْ كَيْدٍ، وَدَلَّ حُرَّاسَ الْمَدِينَةِ عَلَى مَكَانِ الْمُؤْتَمِرِينَ؛ فَكَانَ الصَّلْبُ جَزَاءَ الْخَائِنِينَ. وَكَذَلِكَ نَصَرَ اللَّهُ بَطَلَ قِصَّتِنَا الشُّجَاعَ، وَمَكَّنَهُ مِنْ رِقَابِ أَعْدَائِهِ، وَأَعَانَهُ — كَمَا رَأَيْتَ — عَلَى إِهْلَاكِهِمْ؛ بِمَا قَدَّمُوهُ لَهُ مِنْ هَدَايَا نَادِرَةٍ، قَضَتْ عَلَى مُؤَامَرَتِهِمُ الْغَادِرَةِ، وَرَدَّتْ سِهَامَهُمْ إِلَيْهِمْ، وَأَعَادَتْ هَدَايَاهُمْ نِقْمَةً عَلَيْهِمْ!

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾

بَقِيَ أَنْ تَعْرِفَ: مَاذَا صَنَعَتْهُ الرَّعِيَّةُ بَعْدَ مَضَرَعِ «سِرْحَانَ»: قَدْ كَانَ مِنْ حُسْنِ الْحِظِّ أَنْ رَاوِيَ الْقِصَّةِ لَمْ يُغْفَلِ الْحَدِيثَ عَمَّا تَسْأَلُنِي عَنْهُ ... وَكَانَ فِيهَا رَوَاهُ — صَدِيقِي الْعَزِيزُ — لَنَا قَوْلُهُ:

كَانَ الْمَلِكُ «سِرْحَانُ» — لَعَنَهُ اللَّهُ — مِثَالًا لِلظُّلْمِ وَالْجَوْرِ، وَنَمُوذَجًا لِلْخِدَاعِ وَالْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ؛ ارْتَقَى الْعَرْشَ بَعْدَ أَنْ ارْتَمَرَ بِأَخِيهِ الْمَلِكِ «آزَادَ»، وَانْتَهَتْ مُؤَامَرَتُهُ بِعَزْلِهِ وَسَجْنِهِ!

كَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى قَتْلِهِ غِيلَةً،^{٦٨} بَعْدَ أَنْ يَتِمَّ لَهُ قَتْلُ مُنَافِسِهِ «فَيْرُوزشَاهُ»، وَاخْتِطَافُ الْأَمِيرَةِ «نُورِ الْحَيَاةِ»؛ فَخَيَّبَ اللَّهُ تَعَالَى مَسْعَاهُ، وَلَقِيَ عَكْسَ مَا تَمَنَّاهُ، وَذَهَبَتْ آمَالُهُ أَدْرَاجَ الرِّيحِ!

كَانَ الشَّقِيقَانِ الْخَبِيثَانِ «جُنْدَعَةُ» وَ«خَيْدَعَةُ» مِنْ أَكْبَرِ أَعْوَانِ ذَلِكَ الْمَلِكِ الْغَادِرِ، فَلَمْ يَدْخِرَا جُهْدًا فِي أَنْ يُحَسِّنَا لَهُ الشَّرَّ، وَيُحَبِّبَا إِلَيْهِ الْجَوْرَ؛ فَزَيْنَا لَهُ الْغَدْرَ بِأَخِيهِ الْمَلِكِ الْمَحْبُوبِ «آزَادَ» الطَّيِّبِ، كَمَا أَغْرَيَاهُ بِأَنْ يَظْلِمَ رَعِيَّتَهُ وَيَبْطِشَ بِهِمْ!

^{٦٧} الْبِدَارَ، الْبِدَارَ: أَسْرِعُوا، أَسْرِعُوا.

^{٦٨} غِيلَةً: عَلَى غَفْلَةٍ مِنْهُ.

فَلَمَّا أَرَاكَ اللَّهُ الرَّعِيَّةَ مِنْ شَرِّ «سِرْحَانَ» وَوَزِيرِهِ «جُنْدَعَةَ»، وَهَيَّأَ سَبِيلَ الْخَلَاصِ مِنْهُمَا، أَطْلَقُوا «آزَادَ» وَأَعَوَانَهُ مِنْ سَجْنِهِمْ، بَعْدَ أَنْ فَتَكُوا بِأَعْدَائِهِمْ، وَأَبْطَلُوا مَا كَانُوا يُضْمِرُونَ مِنْ شَرٍّ!

وَخَشِيَ «حَيْدَعَةَ» أَنْ يَبْطِشُوا بِهِ — كَمَا بَطَشُوا بِأَعَوَانِهِ — فَهَرَبَ مُتَسَلِّلاً إِلَى بِلَادِ «فَارِسَ»، وَمَعَهُ رِفَاقُهُ وَأَعَوَانُهُ الْأَشْرَارُ، لِيُدَبَّرَ — مَعَهُمْ — وَسِيلَةً لِلانْتِقَامِ لِلْخَائِنَيْنِ الشَّرِيرَيْنِ: «سِرْحَانَ» وَ«جُنْدَعَةَ»؛ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ لَقِيَ مَصْرَعَهُ، وَهَلَكَ رِفَاقُهُ مَعَهُ!

عَلِمَ الْمَلِكُ «آزَادَ» — بَعْدَ زَمَنِ يَسِيرٍ — بِكُلِّ مَا لَقِيَهُ أَعْدَاؤُهُ الْأَلْدَاءُ^{٦٩} عَلَى يَدِ صَدِيقِهِ «فَيْرُوزشَاهُ»؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِصَفْوَةٍ مِنْ خُلَصَائِهِ، وَمَعَهُمْ نَفَائِسُ مِنَ الْهَدَايَا، لِيَشْكُرُوا لَهُ مَا أَسَدَاهُ إِلَى مَلِكِهِمْ مِنْ صَنِيعٍ، وَمَا قَدَّمَهُ مِنْ جَمِيلٍ.

(١١) خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ

أَصْبَحَ الْمَلِكُ «آزَادَ» وَالْأَمِيرُ «فَيْرُوزشَاهُ» — مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ — صَدِيقَيْنِ مُؤْتَلِفَيْنِ، يَتَبَادَلَانِ الْمُوَدَّةَ وَالصَّفَاءَ، وَيَنْعَمَانِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِخَاءِ، وَيَتَعَاوَنَانِ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ.

وَلَمْ تَنْقُضْ أَعْوَامٌ قَلِيلٌ، حَتَّى مَاتَ الْمَلِكُ «سَاسَانُ»، وَخَلَفَهُ وَلَدُهُ «فَيْرُوزشَاهُ» عَلَى الْعَرْشِ؛ فَحَكَّمَ بِلَادَهُ — كَمَا حَكَّمَهَا أَبُوهُ مِنْ قَبْلُ — بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَلَمْ يَقْصُرْ فِي تَشْجِيعِ الْمُوْهُوبِينَ، وَمُكَافَأَةِ الْعَامِلِينَ.

وَعَاشَ الْمَلِكُ «فَيْرُوزُ شَاهُ» وَالْمَلِكَةُ «نُورُ الْحَيَاةِ»، فِي ثَبَاتٍ وَنَبَاتٍ، وَخَلَفَا الصَّبِيَّانَ وَالْبَنَاتِ ...

وَمَا زَالَ النَّاسُ يَتَنَاقَلُونَ قِصَّتَهُمْ، وَاحِدًا عَنْ وَاحِدٍ، وَيَتَوَارَثُونَهَا وَلَدًا عَنْ وَالِدٍ، وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهَا الدُّرُوسَ النَّافِعَةَ، وَيَهْتَدُونَ بِمَا فِيهَا مِنْ مَوَاعِظٍ وَعِبَرٍ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى جَدِّي؛ فَقَصَّهَا عَلَيَّ أَبِي.

ثُمَّ قَصَّهَا عَلَيَّ أَبِي حِينَ بَلَغْتُ مِثْلَ سِنِّكَ، وَهَآنَذَا أَقْصَاهَا عَلَيْكَ، لِتَرْوِيَهَا — مَتَى كَبُرَتْ — إِلَى أَطْفَالِ جِيلِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

^{٦٩} اللَّدْدُ: شِدَّةُ الْخُصُومَةِ.

